هـدي النبي المختار ﷺ
في تعليم الصحابة الأبرار رضي الله عنهم

إعداد

خويدم سنة سيد المرسلين ﷺ

محمود عبد الله عبد الرحمن عبد الحليم

أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

بكلية أصول الدين بطنطا

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـــــد

إن مهمة النبي ﷺ إنما هي تعليم أمته ودلالتهم على الخير، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢] فكان ﷺ معلماً وحاكماً وقاضياً ومفتياً وقائداً طيلة حياته، وقد استطاع ﷺ بهديه القويم في التعليم أن يحقق الأهداف المرجوة بإيجاد جيل يحمل مشاعل النور والهداية، ويخرجوا البشرية من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهداية بتبليغ الرسالة لمن بعدهم مقتدين في ذلك بهديه ﷺ في التعليم.

وكان ﷺ لا يقتصر في التعليم على المسائل العلمية فحسب ؛ بل ربىّ علماء مجتهدين ، وسلك في ذلك منهجاً فريداً وأسلوباً حكيماً في التعليم، ولأهمية التعليم في الإسلام فإنه يقوم على أسس تربوية ومنهجية صحيحة، والنبي ﷺ ضرب أروع الأمثال في ذلك فأردت أن أبيّن منهجه ﷺ فى التعليم ، وكيفية الاستفادة منه في وقتنا الحاضر ، ولبيان

أن ما يقوم به المتخصصون والخبراء الآن لا يختلف عما كان عليه النبي ﷺ ولا يخرج عن هديه ﷺ في التعليم؛ إضافة إلى ذلك أن منهجه ﷺ في التعليم لا يقتصر على المعلمين والمربين في مراحل التعليم المختلفة، بل يشمل الدعاة إلى الله والوعاظ المصلحين وكل صاحب دعوة إصلاح فى كل نواحي الحياة، وكذلك إظهار عظمة النبي ﷺ فى هديه في تربية الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم فكانوا خير جيل ، وهو القدوة والأسوة، والمعصوم الذي أمرنا الله بالتأسي به؛ لأن عمله تشريع ونهجه هدى ونور .

وما تنادي به طرق التعليم الحديثة من مصطلحات وقواعد وأسس لا تخرج عما انتهجه واختطه ﷺ في منهجه التعليمي والتربوي .

وهذا ما دفعني إلى الكتابة فى هذا البحث وكان بعنوان " هدي النبي المختار ﷺ في تعليم الصحابة الأبرار ﷺ " وقد آثرت لفظ هدي عن لفظ منهج لأن الهدي مرتبط بالحياة الدينية والدنيوية، وهذا يجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ بخلاف لفظ منهج ، وإن كان يناسب استخدامه فى هذا المقام، إلا أن الأمر يختلف في شأن النبي ﷺ ؛ إضافة إلى أنه معلم، فإننا أُمرنا بالاقتداء به واتباعه ، فإذا جمعنا بين اتباعه والالتزام بمنهجه وهديه، فإننا جمعنا بين خيري الدنيا والآخرة .

وقد استخدمت المنهج التحليلي وهو التأمل في السنة النبوية، وآراء أئمة الحديث ، والمتخصصين التربويين ، مع بيان أوجه الاستفادة من الهدي النبوي في التعليم.

وقد وفقني الله تعالى؛ وقسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس :

المقدمة : تحدَّثت فيها عن أهمية البحث ، وما دفعني إلى الكتابة فيه، وخطة البحث ومنهجي فيه .

المبحث الأول : فضل العلم وأهله والحث على طلبه ونشره .

المبحث الثاني : هدي النبي ﷺ في تعليم الصحابة رضي الله عنهم .

الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ، ثم ختمت بفهرس المراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

ومنهجي في البحث كما يلي :

قمت بعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالتخريج منها، وإن كان في غير الصحيحين أو أحدهما اجتهدت فى التخريج من مظانه، وحكمت على الحديث بما يناسب حاله إذا كان في غير الصحيحين ، وأسندت كل قول لقائله .

وبعد

فما ذكرته – مع قلة بضاعتي، وكثرة ذنوبي – جهد متواضع، فما كان من توفيق وصواب فمن الله ﷻ، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي، وحسبي أنني بشر اجتهد للوصول للصواب ، والله أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه وأن يتقبله قبولاً حسناً وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبـــــــه

خويدم سنة النبي العدنان ﷺ

محمــود عبد الله عبد الرحمــن

أستاذ الحديث الشريف وعلومه

المساعد بكلية أصول الدين طنطا جامعة الأزهر

المبحث الأول
فضل العلم وأهله والحث على طلبه ونشره

حث الإسلام على العلم ورغب في طلبه ، ونوّه بمكانته ومكانة أهله وأعلى قدرهم ورفع شأنهم .

وإن أول ما نزل من الوحي الإلهي على سيدنا محمد ﷺ الأمر بالقراءة التي هي مفتاح العلم، قال تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق : ١ –٥] ، وهذه الآيات تشير إلى فضل العلم والتعلم .

وأقسم الله جلاله بالقلم الذي هو أداة نقل العلم، قال تعالى : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم : ١] .

وقد فضل الله ﷻ آدم عليه السلام ، وجعله خليفة ، وقدمه على الملائكة المتفرغين للعبادة ، وذلك لما خصه الله ﷻ بالعلم الذي تفوق به على الملائكة .

يقول ابن القيم : " إنَّه سُبْحَانَهُ لمَّا أخبر مَلائكته بِأَنَّهُ يُرِيد أن يَجْعَل فِي الأرض خَلِيفَة ، قَالُوا لَهُ كما أخبر الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ ﴾ [البقرة: ٣٠ – ٣٢] إلى آخر قصَّة آدم، وَأمر الْمَلَائِكَة

بِالسُّجُود لآدَم، فَأَبى إبليس فلعنه، وَأخرجه من السَّمَاء ... وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له لَمَّا امتحنهم بِعلم مَا علمه لهَذَا الْخَلِيفَة أقروا بِالْعَجزِ وَجَهل مَا لم يعلموه ، فَقَالُوا : ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، فَحِينَئِذٍ أظهر لَهُم فضل آدم بِمَا خصّه بِهِ من الْعلم، فَقَالَ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ [البقرة: ٣٣]، أقرُّوا لَهُ بِالْفَضْلِ (١).

ولقد أثنى الله عز وجل على العلم وأهله في أكثر من آية وبيّن مكانة العلماء ومنزلتهم ومن ذلك على سبيل المثال :

قال تعالى : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١] ، رفع الله درجاتهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا: رفع ذكرهم بين الخلق، ومكانتهم ومنزلتهم ، وفي الآخرة فلهم الدرجات العلى، وأي شرف، وأي منزلة أعظم من ذلك .

قال ابن حجر : يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد كثرة الثواب ، وبها ترتفع الدرجات، ورفعها تشمل المعنوية فى الدنيا لعلو منزلته وحسن الصيت ، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة فى الجنة (٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١ / ٥٢ بتصرف.

(٢) فتح الباري ١ / ١٤١.

عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨]، وقد أشهد الله تعالى أهل العلم على أعظم حقيقة في الوجود، هي حقيقة الانفراد بالألوهية، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران : ١٨]، فبدأ الله عز وجل بنفسه، ثم ثنى بملائكته، وثلَّث بأهل العلم وكفى بذلك شرفاً وفضلاً ونبلاً .

يقول ابن القيم : " استشهد الله تعالى بأولى العلم على أجلِّ مشهود عليه ، وهو توحيده فقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه وذكر عشرة أوجه ، وهي :

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقترانها بشهادة الملائكة.

الرابع: أن في هذا تزكيتهم وتعديلهم فإنَّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه، وليس بمستعار لهم.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو أجل شاهد، ثم خيار خلقه، وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً.

السابع: أنه سبحانه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه، وأكبره ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين منهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده .

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن الملائكة ومنهم، ولم يعطف شهادتهم لفعل آخر غير شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه وتعالى شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة ، فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقاً وتعليمًا، وهم الشاهدون بها إقراراً واعترافاً وتصديقاً وإيماناً.

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة فإن أدوها فقد أدوا الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به.

فوجب على الخلق الإقرار به وكان ذلك غاية سعادتهم فى معاشهم ومعادهم وكل من ناله الهدى بشهادتهم ، وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره ، وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله عز وجل (١).

قلت : قرن الله عز وجل بين شهادته بوحدانيته وشهادة الملائكة وأهل العلم وهي من أعظم الشهادات لأنها على شيء عظيم وهو التوحيد الذي هو أساس دين الإسلام ، وكفى شرفاً وفضلاً لأهل العلم حين تقترن شهادتهم بشهادة الله عز وجل وملائكته .

ومن فضل العلم وأهله أيضاً أن الله عز وجل فرق بينهم وبين غيرهم من أهل الجهل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

---

(١) "مفتاح دار السعادة" لابن القيم ١ / ٤٨، ٤٩.

يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩]، فقد نفى الله عز وجل التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم؛ لأن غيرهم بمنزلة العميان الذين لا يهتدون ولا يبصرون ، قال تعالى : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد : ١٩].

وكذلك من فضل أهل العلم أنهم المرجع لكل الناس فيما يعرض لهم من أسئلة أو إشكال في فهم ما يُشكل عليهم، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل : ٤٣]، وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقد أرسل الله نبيه محمداً ﷺ هادياً ومعلماً، وقد اصطفاه الله على عينه ورباه وعلمه بعنايته الإلهية ، وهذه من أجل النعم التي أنعم الله عز وجل بها علينا ، فكانت مهمته ﷺ تعليم الناس وهدايتهم وإرشادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن غياهب الكفر إلى حقيقة الإيمان بالله عز وجل ، وعلمه عز وجل الكتاب والحكمة ليعلمهم للناس وقد امتن على عباده بقوله في كتابه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة:١٥١] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤]، فكانت مهمته ﷺ البلاغ عن الله عز وجل ليحيى

القلوب بنور الإيمان وينقذهم من ضلال الشرك والكفران ، وكانت هذه دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة:١٢٩]، وقد استجاب الله دعائه فقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢].

ولأهمية العلم ومنزلته ومكانته فى الإسلام لم يأمر الله نبيه بالاستزادة من شيء إلا العلم ، قال تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤] .

قال ابن القيم : " وكفى بهذا شرفاً للعلم أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه " [(١)].

وقال ابن حجر : " واضح الدلالة فى فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم [(٢)].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١ /٥٠.

(٢) فتح الباري ١ / ٤١.

وقد أفاض الله عز وجل على نبيه ﷺ بالعلم، وبلغ فيه غاية لم يبلغها بشر سواه ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣] فأعده الله إعداداً عظيماً ليتمكن من حمل الرسالة وتبليغها ، وقد بين ﷺ الهدف من بعثته أنه بعث معلماً .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا » (١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» فَجَلَسَ مَعَهُمْ.(٢)

---

(١) مسلم، ك/الطلاق، ب/ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ ٦١٥/١ رقم٣٧٦٣ ضمن حديث طويل،

(٢) أخرجه ابن ماجة، المقدمة، ب/ فضل العلماء والحث على طلب العلم، ص ٣٨ رقم ٢٣٤، وأبو داود الطيالسي ٤ / ١١ رقم ٢٣٦٥، وابن المبارك فى الزهد ، ص ٤٨٨ رقم ١٣٨٨، والدارمي فى سننه، ك/ العلم، ب/ فى فضل العلم وطالبه ١ / ١٦٦ رقم ٣٦٩، قلت : والحديث إسناده ضعيف جدا فيه داود بن الزبرقان الرقاشي البصري ، = متروك وكذبه الأزدي ــ التهذيب ٣ / ٧ ، ط دار الفكر ، وتقريب التهذيب ، ص ١٩٨، بكر بن خنيس =

فالنبي ﷺ معلم ، وهو خير المعلمين بأبي هو وأمي ، قضى عمره داعياً إلى الله عز وجل وكان المرجع لجميع المسلمين فى جميع الأمور والأحوال، وكل ما يعرض لهم في حياتهم، وكانت مجالسه التعليمية كما اتفق له ﷺ . في الطريق يستوقفه الناس ليسألون عن أمر دينهم ، وفي المسجد مدرساً وخطيباً وقاضياً ومفتيًا، وفى الجيش قائداً وواعظاً يلهب القلوب بوعظه ، ويحس الجنود بحلاوة منطقه ، كان متقلباً بين ظهرانيهم يأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم وهدايتهم، يشاركهم آلامهم وأفراحهم ، ويعود مرضاهم، ويشيع موتاهم، ويفصل في قضاياهم ، ويفض منازعاتهم ويقضى على خلافاتهم، لم يفرق فى مجلسه بين قوى وضعيف، وشريف ووضيع، وغني وفقير، ورئيس ومرؤوس، قال تعالى : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف : ٢٨] .

وكان ﷺ يشجعهم على طلب العلم، ويحثهم عليه يقول ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».[1]

=

بالمعجمة والنون وآخره سين مهملة مصغر سكن بغداد ، صدوق ، له أغلاط، أفرط فيه ابن حبان ، التهذيب ١ / ١٤٨، التقريب ،ص ١٢٨ ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، بفتح أوله وسكون النون وضم المهملة الأفريقي ، ضعيف فى حفظه ، التقريب ، ص ٣٤٠ .

(١) البخاري ، ك/ العلم، ب/ من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين والله أعلم ، ١ / ٢١ رقم ٧١ ، مسلم، ك/ الزكاة، ب/ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ١ / ٤٠٧ رقم ٢٤٣٩ إلى قوله " والله عز وجل يعطي " . =

فجعل الخيرية والأفضلية عند الله لمن تفقه في دين الله ﷻ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا»(١). وفي رواية عند البخاري عن أبي هريرة ﷺ: وفيه « فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقُهُوا » (٢).

ولم يقف الأمر عند تشجيع الصحابة رضي الله عنهم على طلب العلم بل كان يحضهم على تبليغه ونشره .

عن أبي بكرة ﷺ، عن النبي ﷺ: « أَلاَ لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ » (٣).

وقد أوصى النبي ﷺ بطالب العلم خيراً ورغب في تعليمه ؛ لما له من منزلة وفضل عند الله عز وجل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « ... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا

---

(١) البخاري فى المناقب ، ب/ قول الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] ٢ / ٦٩٠ رقم ٣٥٣٣، مسلم فى فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، ببا خيار الناس ٢ / ١٠٧٧ رقم ٦٦١٥.

(٢) البخاري فى أحاديث الأنبياء، ب / قول الله تعالى " لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين " [يوسف : ٧] ٢ / ٦٦٤ رقم ٣٤١٨.

(٣) البخاري فى المغازي، ب/ حجة الوداع ٢ / ٨٧٨ رقم ٤٤٥٠، مسلم فى القسامة، ب/ تغليظ تحريم الدماء والأعاض والأموال ٢ / ٧٧٢ رقم ٤٤٧٧ .

نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » (١).

وإذا كان النبي ﷺ يحث على طلب العلم ويشجع صحابته رضي الله عنهم على ذلك ويبين لهم فضل العلم وأهله والوصاية بطالب العلم .

فإنه ﷺ كان له منهجاً قويماً وهدياً حكيماً فى التعليم، ففتح باب العلم لكل الناس، وكان يفيض عليهم بالكلم الطيب، والعلم النافع، والهدي الرشيد فكان ﷺ نعم الناصح والمربي والهادي .

وتخرج من الصحابة ﵃ أتقياء موحدين ، وحكماء وعلماء رحماء، وإخواناً متحابين أصفياء، وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس فى عقيدتها وعبادتها، وعلمها وعملها وسلوكها وأخلاقها، وكل ذلك منه ﷺ بطريقة علمية راقية، وأسلوب تربوي سديد، ومنهجية قويمة .

فيا ليت الخبراء والأساتذة المتخصصين فى التربية والتعليم يدرسوا هديه ﷺ في التعليم، ويتعرفوا على منهجه فى التوجيه والإرشاد، وينهلوا من معينه إن كانوا يبغون بأبحاثهم ودراساتهم الارتقاء بالعملية التعليمية فى مختلف مراحلها وجميع تخصصاتها ، وللتعرف على هديه ﷺ فى التعليم فهذا ما سوف أتكلم عنه في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب/ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢ / ١١٣٩ رقم ٧٠٢٨ ضمن حديث طويل .

المبحث الثاني
طريقة النبي ﷺ في تعليم الصحابة ﷺ

١ ـ اختيار الوقت المناسب ، وتحين الفرصة لإلقاء دروس العلم :

كان من هديه ﷺ في تعليم أصحابه ﷺ اغتنام الفرص : من صفاء الذهن، ونشاط العقل، وتقبلهم لما يلقى عليهم من موعظة أو فائدة أو أحكام تشريعية، فإن الإنسان إذا كان منشغلاً فإنه لا يستفيد من توجيه المعلم، ولا يفهم ما يقوله، وإن فهمه قد لا يستجيب لانشغاله عنه، ولذا فإن من الحكمة والفطنة أن يراعي المعلم الأوقات والمناسبات؛ وهذا كان ديدن النبي ﷺ مع أصحابه ، وكان يتخير الوقت المناسب للموعظة، وهو وقت المنشط، ووقت فراغ الذهن، والاستعداد للتلقي، فإن الاستمرار في التعليم والتوجيه يورث السآمة والملل فى النفس فتقل الفائدة وقد تنعدم.

فعَنِ عبد الله بن مَسْعُودٍ ﷺ ، قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا »، وفي رواية أبي وائل، قال : كَانَ عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، « إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا »[(١)].

---

(١) البخاري فى ك/ العلم، ب/ ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١ / ٢١ رقم ٦٨، مسلم فى ك/ صفة القيامة والجنة والنار، ب/ الاقتصاد فى الموعظة ٢ / ١١٩٣ رقم ٧٣٠٧ .

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه بقوله : بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا [(١)].

قال ابن حجر : وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ تَرْكِ الْمُدَاوَمَةِ فِي الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَشْيَةَ الْمَلَالِ وَإِنْ كَانَتِ الْمُوَاظَبَةُ مَطْلُوبَةً لَكِنَّهَا عَلَى قِسْمَيْنِ : إِمَّا كُلَّ يَوْمٍ مَعَ عَدَمِ التَّكَلُّفِ ، وَإِمَّا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فَيَكُونُ يَوْمُ التَّرْكِ لِأَجْلِ الرَّاحَةِ لِيُقْبِلَ عَلَى الثَّانِي بِنَشَاطٍ ، وَإِمَّا يَوْمًا فِي الْجُمُعَةِ وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ وَالضَّابِطُ الْحَاجَةُ مَعَ مُرَاعَاةِ وُجُودِ النَّشَاطِ[(٢)].

فمن الحكمة سلوك هذا المنهج النبوي القويم فى التعليم ، وهو الذي تعتمده المؤسسات التربوية اليوم فى مناهجها التعليمية، وهي خير طريقة لتثبيت المعلومة التي يتلقاها الطالب في محراب العلم . والله أعلم

٢ ـ إعادة الكلام أكثر من مرة مع تمهله ﷺ وحسن أدائه:

كان من هديه ﷺ أنه إذا تكلَّم تكلَّم ثلاثاً ليفهم عنه، وذلك مراعاة لحال المخاطب، فإنَّ النَّاس تختلف مداركهم وعقولهم، ومتفاوتون في الفهم والتحصيل والحفظ، فمنهم من يفهم من أول مرة، ومنهم من يفهم مما يقال له من المرة الثانية .. إلخ .

عَنْ أَنَسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٢١ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١ / ١٦٣ .

ثَلاَثًا » [1].

فالمعلم الماهر الذي يستطيع أن يحتوي كل عقول جلسائه، ويقوم بتوضيح المطلوب لهم جميعاً على اختلاف مداركهم ومستواهم الثقافي .

فكانت عادته ﷺ أنه يراعي حال المخاطب فيعيد كلامه أحياناً، ويكرره على السامعين حتى يدركوه جميعاً فلا يفوت أحدهم بعضه.

قال الإمام بدر الدين العيني : إِعَادَة الْكَلَام ثَلَاثًا إِمَّا لِأَن من الْحَاضِرين من يقصر فهمه عَن وعيه فيكرره ليفهم، وَإِمَّا أَن يكون القَوْل فِيهِ بعض الْإِشْكَال فيتظاهر بِالْبَيَانِ، فإِعَادَة النَّبِي ﷺ ثَلَاث مَرَّات إِنَّمَا كَانَت لأجل المتعلمين والسائلين ليفهموا كَلَامه حق الْفَهم، وَلَا يفوت عَنْهُم شَيْء من كَلَامه الْكَرِيم[2].

ولذلك فإن التكرار غالباً يكون أدعى إلى الحفظ وعدم النسيان وكذلك فإن التكرار له أغراض أخرى، ومن ذلك :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.[3]

قال ابن حجر : قَوْلُهُ: (ثَلَاثًا): أَيْ: قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

---

(١) البخاري فى ك/ العلم، ب/ من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ١ / ٢٧ رقم ٩٥.

(٢) عمدة القاري ٢ / ١١٥ .

(٣) البخاري فى ك/ الشهادات، ب/ ما قيل فى شهادة الزور ١ / ٥٠١ رقم ٢٦٩٣، ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ الكبائر وأكبرها ١ / ٥٢ رقم ٢٦٩.

وَكَرَّرَهُ تَأْكِيدًا لِيَنْتَبِهَ السَّامِعُ عَلَى إِحْضَارِ فَهْمِهِ(١).

وقد يكون التكرار للزجر الشديد: عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما ، يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ.(٢)

قال القرطبي: في تَكْرِيرِهِ ذَلِكَ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ قَبُولِ الْعُذْرِ زَجْرٌ شَدِيدٌ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ.(٣)

وتكرار الكلام لا يشترط فيه أن يكون ثلاث مرات بل المراد حصول المطلوب لوصول المعلومة إلى ذهن السام .:

يقول الحافظ ابن حجر: الثَّلَاثُ لَيْسَتْ شَرْطًا بَلِ الْمُرَادُ التَّفْهِيمُ فَإِذَا حَصَلَ بِدُونِهَا أَجْزَأَ.(٤)

يقول الجاحظ : وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن

---

(١) فتح الباري ٥ / ٢٦٢ .

(٢) البخاري فى ك/ المغازي، ب/ بعث النبي ــ ص ــ أسامة بن زيد إلى الحرقان بن جهينة ٢ / ٨٤٩ رقم ٤٣١٤، مسلم فى ك/ الإيمان، ب/ تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١ / ٥٥ رقم ٢٨٨ .

(٣) فتح الباري ١٢ / ١٩٥ .

(٤) المرجع السابق ١ / ١٨٩ .

يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب، وأما حديث القصص والرقة فإني لم أر أحداً يعيب ذلك ، وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيًا [١] .

وكان ﷺ مع تكراره للكلام يتمهل في آدائه ولا يسرع في كلامه حتى يفهم عنه ﷺ ما يلقيه على المخاطبين؛ فإن التسرع فى الإلقاء غالباً ما يجعل الفائدة تفوت على المستمعين، فيحتاج إلى التمهل والتؤدة في الأداء، ويفصل بين الكلمات حتى لا تدخل الكلمات فى بعضها فيلتبس على السامع المعنى المراد والفائدة المطلوبة، فكان ﷺ لا يسرد الكلام سرداً، ولا يسرع فى أدائه حتى يستفيد الحضور منه.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ ».[٢]

و عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ: « أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو هريرة، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ص ٧٠ ــ عيًا: الإعياء الكلام، والمعاياة أن تأتي بكلام لا يهتدى له، ينظر : ك/ العين للفراهيدي ٢ / ٢٧٢ .

(٢) البخاري فى ك/ المناقب، ب/ صفة النبي ﷺ ٢ / ٧٠١ رقم ٣٦٠٨، ومسلم فى ك/ الزهد والقرائق، ب/ التثبيت فى الحديث وحكم ك/ه العلم ٢ /١٢٥٩ رقم ٧٧٠١ .

لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ ».[١]

قال ابن حجر : قَوْلُهُ: « وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ »: أَيْ لَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ وَبَيَّنْتُ لَهُ أَنَّ التَّرْتِيلَ فِي التَّحْدِيثِ أَوْلَى مِنَ السَّرْدِ، وقَوْلُهُ: « لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ »: أَيْ يُتَابِعُ الْحَدِيثَ اسْتِعْجَالًا بَعْضَهُ إِثْرَ بَعْضٍ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ عَلَى الْمُسْتَمِعِ، زَادَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ، مِنْ رِوَايَةِ ابن الْمُبَارَكِ، عَنْ يُونُسَ: « إِنَّمَا كَانَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصْلًا فَهْمًا تَفْهَمُهُ الْقُلُوبُ »، وَاعْتَذَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِأَنَّهُ كَانَ وَاسِعَ الرِّوَايَةِ كَثِيرَ الْمَحْفُوظِ، فَكَانَ لَا يَتَمَكَّنُ مِنَ الْمَهَلِ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّحْدِيثِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: أُرِيدُ أَنْ أَقْتَصِرَ فَتَتَزَاحَمُ الْقَوَافِي عَلَى فِيَّ.[٢]

فكان ﷺ يتمهل في كلامه، ويبين الأحكام بتؤدة؛ حتى لا يبقى لسامع سؤال أو إشكال فى عقله أو التباس فى فهمه لشيء من قوله ﷺ.

فمهمةُ المُعَلِّم والداعية ليست بالأمر الهين؛ بل هي من المسئولية بمكان، إذ يجب على كل منهما إفهام السامعين، ولا يتأتى ذلك إلا بإعادة الكلام أكثر من مرة عند الحاجة، وكذلك التمهل فى الأداء، وعدم السرعة فى الكلام، ومن كانت هذه صفته فهو الأكثر حظًا وقبولاً لدى الجمهور والمستمعين؛ لأنه يوصل المعلومة بسهولة ويسر، ولا يوجد أي إشكال في فهم، أو التباس فى عقل لمسألة من المسائل.

وقدوتنا في ذلك هو النبي ﷺ، وإذا نظرنا في أساليب التعليم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا الهدي النبوي الحكيم.

---

(١) البخاري فى ك/ المناقب، ببا صفة النبي ﷺ ٢ / ٧٠١ رقم ٣٦٠٩، ومسبلم فى ك/ فضائل الصحابة، ب/ من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ ٢ / ١٠٦٦ رقم ٦٥٥٤ .

(٢) فتح الباري ٦ / ٥٧٨.

٣ ـ مراعاة حال المُخَاطبين ومستواهم الثقافي باستخدام أسلوب المحاورة والإقناع العقلي:

كان النبي ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم، فإن الكلام الذي لا يبلغ عقول المخاطبين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم، فيأتي بغير المقصود منه، فنجد أنه كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ البدوي والحضري، فكان يراعي حال كل واحد ويخاطبه بما يناسب عقله ومستواه الثقافي، فتكفى منه الإشارة إلى الألمعي الذكي، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنَّى ذَلِكَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ».[(١)]

يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب: لقد كانت الوسيلة الوحيدة لإقناعه بصحة ما أنكره أن يقيس ذلك على ما اعتاده من حياته العملية، وبيئته.[(٢)]

فعلى المعلم الماهر أن يراعي تفاوت المدارك لدى المتعلمين وقدرتهم الفطرية والمكتسبة لكي تبلغ المعلومة عقولهم ويفهمونها فهماً صحيحاً، ويصل بهم إلى درجة الإقناع الكامل والإدراك التام؛ لأن

(١) البخاري ك/ الطلاق، ب/ إِذَا عَرَّضَ بِنَفْيِ الوَلَدِ ٣ / ١١١١ رقم ٥٣٦٢، ك/ المخاربين من أهل الكفر، ب/ ما جاء فى التحريض ٣ / ١٣٨٢ رقم ٦٩٣٢، ك/ الاعتصام ب/الكتاب والسنة، ب/ من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين قد بين الله حكمها ليفهم السائل ٣ / ١٤٧٧ رقم ٧٤٠٠، ومسلم فى ك/ اللعان ٢ / ٦٣٧ رقم ٣٨٤١ .

(٢) أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، ص ٤٢.

تكليف العقل ما لا يحتمله وتحميله فوق طاقته لا يزيد المتعلم إلا حيرة وجهلاً .

فكان لا بد من مراعاة حال المخاطبين ومعرفة مستوى تحصيلهم ومدارك عقولهم، ففن معرفة ذلك يساعد المعلم فى تحديد أسلوبه فى عرض المادة العلمية وتلخيصها بما يتوافق مع عقولهم ومداركهم، فإن لكل مقام مقال، ولكل حال ما يناسبه، فإن ما يصلح فى القرية لا يصلح في المدينة، وما يقال في الجامعة لا يقال على أذهان طلاب المدارس .

يقول عبد الله بن مسعود : مَا أَنْتَ مُحَدِّثًا قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ.(١)

فأثر مخاطبة العقول بما لا تحتمله، ويقتصر عن إدراكها، فإنه يسبب الفتنة. فيجب على المعلم تبسيط المعلومة ، وصياغة الألفاظ بعبارات واضحة مفهومة تتناسب مع مستوى الأشخاص، كي تصل المعلومة الصحيحة إلى مكانها الصحيح، ولكي لا يصعب التعليم على المتعلم وينفر منه، ويتخبط عقله .

قال الرَّبِيعُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ كَانَ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ مَا فَهِمْنَا عَنْهُ لَكِنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عُقُولِنَا فَنَفْهَمُهُ.(٢)

فمراعاة حال المخاطب واستخدام الأسلوب العقلي فى الإقناع وسيلة جيدة تعين على وصول المعلومة إلى ذهن السامع، مع مراعاة

---

(١) مسلم فى المقدمة ب/ النهي عن الحديث بكل ما سمع ١ / ٧ رقم ١٤.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين ابن مفلح المقدسي ٢ / ١٥٦، وينظر : التعليق الممجد على موطأ محمد لمحمد عبد الحي اللكنوي ١ / ٣٢ .

البساطة فى الحوار وتفاعل السامع مع المتحدث، مع تقريب المفاهيم إلى عقل السامع، فإن العقول تختلف مداركها من حيث الفهم وسرعة الاستجابة، ويختلف الناس أيضاً من حيث الانقياد والتسليم لشرع الله من أمره ونهيه، فمنهم من لا يقنع بالدليل إلا إذا أظهرت له الحكمة من التشريع ومنهم من يكفيه الدليل.

فعلى المعلم الماهر والداعية الواعي مراعاة حال المخاطبين ويخاطبهم بما يناسب عقولهم حتى يصل بهم إلى الإقناع الكامل بالصواب والبعد عن الخطأ ، وفيه أيضاً مراعاة الفروق الفردية بين الصحابة رضي الله عنهم – والله أعلم –.

٤ ـ مخاطبة كل قوم بلهجتهم، ولغتهم التي يفهمونها:

فى بعض الأحوال يجد المرء صعوبة فى الفهم بسبب اختلاف فى اللغة، أو اختلاف اللهجة مع اتحاد اللغة، فالمعلم الجيد هو من يراعي ذلك مع طلابه فينزل على لهجة طلابه حتى تصل المعلومة إلى عقولهم ويفهمونها على وجهها الصحيح ، وإلا كان كالذي يحرث فى الماء .

وقد كان ﷺ يراعي لهجات القوم حين يخاطبهم، ويخاطب كل واحد بلغته التي يفهمها، ومن ذلك :

عَنْ كَعْبِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ » .[1]

قال الخطيب : أراد : «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[2]، وَهَذَا

(١) أحمد فى المسند ٣٩ / ٨٤ رقم ٢٣٦٧٩ .

(٢) لفظ الحديث متفق عليه بلفظ: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»، أخرجه البخاري ك/ =

لُغَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ ، يَقْلِبُونَ اللَّامَ مِيمًا ، فَيَقُولُونَ: رَأَيْنَا أُولَئِكَ امْرِجَالَ ، يُرِيدُونَ الرِّجَالَ ، وَمَرَرْنَا بِامْقَوْمِ ، أَيْ بِالْقَوْمِ ، وَهِى لُغَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ إِلَى الْآنَ بِالْيَمَنِ.(١)

٥ ـ التدرج في التعلم، وهو أن يُقَدِّم الأهَم على المهم مع مراعاة الفروق الزمنية:

لم يأت النبي ﷺ بالمسائل الصعبة على النفوس ولكن كان ﷺ يتدرج فى تعليم أصحابه ، وهذا هو منهج القرآن الكريم، فإنه لم يحمل الناس قسراً على الحق، وإنَّما تدرَّج معهم فى انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة، ومحاربة المنكرات التي كان عليها الناس فى الجاهلية، وثبت بالتدرج أيضاً العقائد الصحيحة والعبادات والأحكام ودعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة، وشجَّع الذين التفوا حوله ﷺ على الصبر والثبات، وهو فى كل هذا يبين القرآن ويفتي الناس ويفصل بين الخصوم ، ويقيم الحدود ، ويطبق تعاليم القرآن وكل ذلك سنة النبي ﷺ.(٢)

فكان ﷺ مع هذا يتدرج فى التعليم، وبيان الأحكام، والتدرج من أهم الأسس التعليمية والتربوية، فإن الناس قد يصعب على الكثير منهم أن ينخلع عن فكره وعاداته فى طرفة عين ، فكان لا بد من ترسيخ المفاهيم الصحيحة فى أذهان المخاطبين، واقتلاع المفاهيم السيئة

=

الصوم، ب/ قول النبي ﷺ لِمَنْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الحَرُّ «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ» ١ / ٣٦٣ رقم ١٩٨١ من حديث جابر ﷺ، ومسلم فى ك/ الصيام، ب/ جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر ١ / ٤٤٣ رقم ٢٦٦٨ عن جابر ﷺ،

(١) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادي، ص ١٨٢، ١٨٣.

(٢) أصول الحديث علومه ومصطلحاته، ص ٣٨ بتصرف .

والخاطئة، ثم الانتقال إلى مرحلة التنفيذ؛ عن يُوسُف بن مَاهَكٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟ " قَالَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ! أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ « إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦] ، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ »، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ (١).

قال ابن حجر : قولها: قَوْلُهُ: « نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ »: أَشَارَتْ إِلَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي تَرْتِيبِ التَّنْزِيلِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الدُّعَاءُ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّبْشِيرُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْمُطِيعِ بِالْجَنَّةِ، وَلِلْكَافِرِ وَالْعَاصِي بِالنَّارِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّتِ النُّفُوسُ عَلَى ذَلِكَ أُنْزِلَتِ الْأَحْكَامُ، وَلِهَذَا قَالَتْ: « وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُهَا »، وَذَلِكَ لِمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ النَّفْرَةِ عَنْ تَرْكِ الْمَأْلُوفِ، قَوْلُهُ: « لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ إِلَخْ »: أَشَارَتْ بِذَلِكَ إِلَى تَقْوِيَةِ مَا ظَهَرَ لَهَا مِنَ الْحِكْمَةِ الْمَذْكُورَةِ (٢).

ويفهم من هذا الحديث الحكمة التشريعية من عدم نزول الأحكام

---

(١) البخاري فى ك/ فضائل القرآن، ب/ تأليف القرآن ٣ / ١٠٥ رقم ٥٠٤٤ .

(٢) فتح الباري ٩ / ٤٠ .

دفعة واحدة، وهو أن الناس فى تركهم للسلوك الخاطئ أو السيء يحتاجون إلى مراحل للاقتناع بخطأ ما يفعلون والأثر السيء الذي يعود عليهم، وهذا لا يتحقق من حكمة أو محاضرة أو في يوم وليله مهما كانت الحجة قوية ومقنعة، فلا بد أولاً من أن يبين الخطأ، ثم بعد ذلك يرسخ المفاهيم الصحيحة فى الأذهان، ثم التطبيق، والأمر بالترك، فالتدرج من أهم معالم المنهج النبوي فى التعليم، والمتتبع لسيرته ﷺ يتضح له ذلك جلياً .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».(١)

في هذا الحديث إرشاد النبي ﷺ لسيدنا معاذ رضي الله عنه وغيره من المعلمين والدعاة إلى الله بالتدرج، والبدء بالأهم فالمهم، وذلك بترسيخ الإيمان بالله تعالى ورسوله أولاً إيماناً يثبت في القلوب ويهيمن على الأفكار والسلوك ، ثم بعد ذلك تطبيق أركان الإسلام العملية التي ترسخ

(١) البخاري فى ك/ الزكاة، ب/ أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا ١ / ٢٨٤ رقم ١٥٢١، ك/ المغازي، ب/ بعث ابي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٢ / ٨٦٥ رقم ٤٣٩٠.

هذا الإيمان وتنميه ، ثم الأمر بالواجب والنهي عن المحرمات.

فيتقبل الناس تكاليف الإسلام التي قد تكون مخالفة لهوى النفس ، لأن قلوبهم قد عُمرت بالإيمان واليقين قبل ذلك، فسهل عليها مخالفة هوى النفس، وترك المألوف من العادات السيئة ، والأمور القبيحة، وحملها على العادات الحسنة الطيبة والأخلاق الفاضلة والمبادئ القويمة [١].

فالناظر فى سيرته ﷺ يرى أنه ﷺ لم يكلف الناس فجأة بالدين كله سواء فى العقيدة أو فى الشريعة، بل تدرج معهم فى تفاصيل العقائد والأحكام طوال فترة البعثة على أساس ترتيب الأولويات، والبدء بالأهم فالمهم، فكان الاهتمام بتثبيت العقيدة الصحيحة أولاً ؛ ثم بيان القيم الدينية والأحكام العامة التي نزلت على الأنبياء السابقين صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، ثم التدرج إلى التكليف بالأوامر والنواهي..إلخ .

وذلك كله يتضح من خلال حديث سيدنا معاذ ﷺ .

يقول الدكتور نعيم أسعد الصفدي : « إن العلم مراتب ، وأجزاؤه مُرَتَّبه ترتيباً ضرورياً، وبعضها طريق بعض، وكل فن من الفنون كالبناء ينبني بعضه على بعض ، ولا يمكن التدرج فى سلم درجاته إلا بعد الانتهاء من الدرجة الأدنى ، وهذا التدرج هو أسس التربية المنهجية ».[٢]

فكان التشريع الذي نزل من عند الحكيم الخبير يراعي التدرج،

---

(١) منهج الرسول ﷺ فى التربية من خلال السيرة النبوية د/ منال موسى على ص ٤٠ وما بعدها، بتصرف.

(٢) الفروق الفردية فى ضوء التربية النبوية، بحث مشترك بين د/ نعيم أسعد الصفدي، و د/عبد اللطيف الأسطل ص ٢٨٩ بتصرف، بحث فى مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١٠م، المجلد ١٢، العدد ١ ،

وتمرين الناس على قبول التشريع، وترويضهم عليه، فأكَّد أولاً على تحقيق التوحيد حتى إذا استقرت نفوسهم، أقروا بالفرائض، ثم سائر التشريعات والأحكام .

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا »(١) .

فعلى المعلم الناجح أن يعلم أن التدرج فى التعليم هو صياغة متكاملة تحتاج فى أولها إلى الأسس والمبادئ التي تصح بها النهايات وتكتمل، فيبدأ بالأهم فالمهم ويراعي حال المتعلمين ، ويعلم أن لكل مرحلة عمرية درجة من النضج يصعب تجاوزها، كما أن لها مشكلات لا يمكن حلها إلا على نحو جزئي، وهناك جوانب عديدة فى الأشخاص لا ينضجها إلا الزمن .

(١) ابن ماجة فى سننه، المقدمة ب/ فى الإيمان، ص ١٢ رقم ٦٤ والطبراني فى المعجم الكبير ٢ / ١٦٥ رقم ١٦٧٨، وابن منده فى الإيمان ١ / ٣٧٠ والبيهقي فى السنن الكبرى ٣ / ١٧١ رقم ٥٢٩٢ وفى الشعب ١ / ١٥٢ رقم ٥٠، قلت : الحديث إسناده صحيح رجاله ثقات والله أعلم.
وكذا قال البوصيري فى مصباح الزجاجة إسناده صحيح رجاله ثقات والله أعلم، قال السندي : " حزاورة " جمع الحزور ــ بفتح الحاء المهملة وسكون زاى معجمة ن وفتح واو ثم راء، ويقال له الحزور، بتشديد الواو، وهو الغلام إذا اشتد وقوى وحزم، حاشية السندي على سنن ابن ماجة ١ / ٣١، قال ابن الأثير : جمع جزور وجزور، وهو الذي قارب البلوغ والتاء لتأنيث الجمع، النهاية فى غريب الحديث ١ / ٣٨٠ .

وكان ابن سيرين يقول :

إنك إن كلفتني ما لـــم أطـــق .:. ساءك ما سرك منى من خلق [(١)]

٦ ـ رفقه ورحمته وكمال شفقته ﷺ ، وحكمته في معالجة الأخطاء :

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

فإن النبي ﷺ كان شفوقاً رؤوفاً رحيماً بمن يدعوا وكان أبعد الناس عن الكبر والخيلاء والغلظة، فلم يكن له ﷺ حارس يقف على بابه، بل كان يعيش فى وسط الناس يخالطهم فى الشارع والسوق والمسجد والسفر والحضر، وكان عنوان معاملته معهم التواضع، فكان معلماً حليماً، وأباً رحيماً، فكان يخاطبهم بألين الخطاب، وكان يرفق بالمخطئ ويتلطف به إلى أبعد درجة، وقد جعل النبي ﷺ الرفق من أسباب الكمال والنجاح، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ».[(٢)]

وفي راوية عن عَائِشَةَ، رضي الله عنها ، قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَهْلًا يَا

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢ / ٢٦٥ وينظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١ / ٢١٥، فتح المغيث ٣ / ٢٨٩.

(٢) مسلم فى ك/ البر والصلة، ببا فضل الرفق ٢ / ١١٠١، رقم ٦٧٦٦،

عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ »، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ ».(١)

فالرفق واللين يطوع المشكلات وكل العقد، ويتغلب على العقبات، وهو وسيلة ناجحة بكل المقاييس، للوصول إلى النتائج الأفضل والأحسن، وهذا بعكس العنف الذي إن نجح فى حل مشكلة خلق وراءه حقداً ورغبة فى الثأر والانتقام (٢).

ولذلك مدح النبي ﷺ أهل الرفق واللين : عَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ ».(٣)

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ».(٤)

فكان تعامل النبي ﷺ مع أصحابه بالرفق ولين الجانب والتواضع وخفض الجناح:

عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ ﷺ ، قَالَ : أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ

(١) البخاري ك/الأدب، ب/الرفق فى الأمر كله ٣ / ١٢٣٢ رقم ٦٠٩٣، ك / الاستئذان، = ب/كيف يرد على أهل الذمة السلام ٣ / ١٢٧٤ رقم ٦٣٢٩، ك/الدعوات، ب / الدعاء على المشركين ٣ / ١٢٩٩، رقم ٦٤٦٨، ومسلم ك/السلام، ب/النهى عن ابتداء أهل الك/ بالسلام وكيف يرد عليهم ٢ / ٩٤١ رقم ٥٧٨٤.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ١٠ / ٧٣، ٧٤ .

(٣) مسلم فى ك/ البر والصلة ب/ فضل الرفق ٢ / ١١٠٠ رقم ٦٧٦٣، ٦٧٦٥، وأبو داود فى سننه، ك/ الأدب، ب/ الرفق، ص٥٣١ رقم ٣٨١٨.

(٤) مسلم ك/البر والصلة، ب/فضل الرفق ١١٠١/٢ رقم٦٧٦٧، وأبو داود فى الموضع السابق برقم ٤٨١ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا – أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا – سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: « ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ – وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا – وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ».(١)

إن هذه الرحمة من النبي ﷺ بهؤلاء الشباب فيها التوجيه إلى ضرورة مراعاة طبائع الناس ومراعاة أحاسيسهم، الشيء الذي قد يغفل عنه بعض المربين بحجة الجدية والحزم ، فربما كلفوا النفوس ما لا تطيق، وحمَّلوها على ما يسبب لها الانقطاع وعدم الاستمرار ، وهذا يتضح من خلال موقفه ﷺ مع هؤلاء الشباب صلوات ربي وسلامه عليه.

وقد بلغ من كمال شفقته ورحمته ﷺ: أنه كان رحيماً بالمخطئ شفوقاً عليه رؤوفاً فى توجيهه وتعليمه الصواب ، وبيان ما وقع فيه من خطأ بدون أن يعبس فى وجهه أو يتضايق من خطأ ، ومخالفته له ﷺ، ولا يغلظ له فى القول .

عن أَنَس بن مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ »، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا

(١) البخاري فى ك/ الآذان ب/ الآذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإمامة ١ / ١٢٣ رقم ٦٣٣ وب/ إذا استوفوا فى القراءة فليؤمهم أكبرهم ١ / ١٣٢ رقم ٦٨٩، ومسلم فى ك/ المساجد ومواضع الصلاة ب/ من أحق بالإمامة ١ / ٢٦٦ رقم ١٥٦٧ .

تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » – أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ –، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ.(١)

قال ابن حجر : وَفِيهِ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ وَتَعْلِيمُهُ ما يلزمه مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ عِنَادًا وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِئْلَافِهِ، وَفِيهِ رَأْفَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَحسن خلقه.(٢)

فينبغي على المعلم أن يكون رحيماً بالمتعلمين، وإظهار جانب اللين والرفق ، من خلال التعامل مع أخطاء المتعلمين فإن الخطأ من طباع البشر.

يقول الإمام النووي : وَيَنْبَغِي على المُعَلِّم أَنْ يَحْنُوَ عَلَي المتعلم، وَيَعْتَنِيَ بِمَصَالِحِهِ كَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، وَيُجْرِيَهُ مَجْرَى وَلَدِهِ فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ وَالِاهْتِمَامِ بِمَصَالِحِهِ والصبر عل جفائه وسوء أدبه، ويعذره فِي سُوءِ أَدَبٍ وَجَفْوَةٍ تَعْرُضُ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مُعَرَّضٌ لِلنَّقَائِصِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنْ الْخَيْرِ وَيَكْرَهَ لَهُ مَا

---

(١) البخاري ك/الوضوء، ب/ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله فى المسجد ١/٥٠ رقم ٢١٩، وب/يهريق الماء على البول ١/٥٠ رقم ٢٢٢ بمعناه مختصراً، ومسلم ك/ الطهارة، ب/وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فى المسجد ١ / ١٣٣ رقم ٦٨٧ بلفظه قوله ﷺ: " مه مه " هى كلمة زجر، ويقال به به بالباء أيضاً، قال العلماء هو اسم مبنى على السكون معناه اسكت، وقوله " فشنه عليه " يروى بالشين المعجمة وبالمهملة وهو فى أكثر الأصول والروايات بالمعجمة ومعناه صبه وفرق بعض العلماء بينهما فقال هو بالمهملة الضب فى سهولة وبالمعجمة التفريق فى صبه، والله أعلم، شرح النووي على مسلم ٣ / ١٩٣.

(٢) فتح الباري ١ / ٣٢٥ .

يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ الشَّرِّ.[١]

وقد أعطى المربي الأعظم ﷺ القدوة والمثل الأعلى لنا فى الصبر على أخطاء المتعلمين .

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَ اللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ
لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» [٢].

قال النووي: قوله: «مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ » : فِيهِ بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَفِيهِ: التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ.[٣]

فمعاوية ﷺ تصرف بطبيعته، وفعل ما يظنه صواباً، إذ لم يكن

---

(١) المجموع شرح المهذب للإمام النووي ١ / ٣٠ .

(٢) مسلم ك/المساجد، ب/ تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ١ / ٢١٥، رقم ١٢٢٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٥ / ٢٠، ٢١ .

يعلم بحرمة الكلام فى الصلاة، فعذره الحبيب المصطفى ﷺ، وأرشده وعلمه دون صخب من القول ، أو غلظة، وعنف فى اللفظ، فالرفق بالطالب يتأكد عندما يكون جاهلاً .

فحرى بالمعلمين والمربين والدعاة إلى الله أن يعوا هذا الجانب ويطبقوه على المتعلمين والمخاطبين وطلبة العلم وليعلموا أن الشدة والغلظة مضرة بهم .

يقول ابن خلدون : إنّ إرهاف الحدّ بالتّعليم مضرّ بالمتعلّم سيّما في أصاغر الولد لأنّه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيّق عن النّفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التّظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلّمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانيّة الّتي له من حيث الاجتماع والتّمدّن.(١)

عن أَنَس بن مالك ﷺ ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ.(٢)

فى الحديث بيان لصبره ﷺ على عدم استجابة أنس ﷺ لأمره ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٧٥ .

(٢) مسلم فى ك/ الفضائل، ب/ كان رسول الله أحسن الناس كخلقاً، ٢ / ٩٩٤، رقم ٦١٥٥ .

وقد ظهر حسن خلقه في تعامله ﷺ مع الموقف فلم يغضب منه ولم يعنفه ، فقد يقترف الغلام الخطأ لضعف إدراكه أو لقلة خبرته أو تغلبه النفس والهوى، فلما رآه النبي ﷺ ضحك وأظهر البشاشة ، وداعبه بالإمساك من قفاه وناداه باسم محبب إليه وتجاهل ﷺ ما وقع منه ولو كان هذا الموقف مع أحد الناس الآن ، أن ابنه وليس طالباً من طلابه فعل نفس فعل أنس رضي الله عنه لكان التأنيب والتوبيخ ، وسوء المعاملة والغلظة التي تجعل الغلام أو الابن يتكاسل عن تنفيذ ما أمر به ، ويتظاهر بغير ما في ضميره ، ويدعوه إلى الكذب حتى لا يتعرض إلى التأنيب ، والعقوبة فاللهم صل وسلم وبارك على معلم الناس الخير .

كذلك نجده ﷺ يتعامل مع من يقوم بعمل يكون سبباً فى هلاكه بالرفق والرحمة وكمال الشفقة فيسارع ﷺ إلى نجدته من هذا الهلاك بحكمة وأناة، فيضع العلاج الشافي الناجع الذي يوقظ النفس من غفوتها ، وهو بذلك ﷺ يخاطب الأحاسيس والعواطف ، كما يخاطب العقول ويحرك المشاعر الإنسانية.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: « ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا »، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ

لِعَمَّاتِهِمْ» . قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» . قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.(١)

لقد كان من الممكن أن يزجره ﷺ ويقسوا عليه أو يسكت ﷺ مقرًا لزجر الناس له وغلظتهم معه في القول، ولكنه ﷺ من حكمته وكمال شفقته ورفقه به، أخذ يحاوره ويخاطب أحاسيسه وعواطفه إلى أن أيقظه من غفلته وردّه إلى صوابه حتى وصل به فى النهاية إلى بغض هذا الذنب العظيم، فبهذا الأسلوب الحكيم البليغ جعل الفتى يدرك أثر الزنا فى المجتمع، فخير الأمور ما كان الرافع إليه من قرارة النفس بعد الاقناع الكامل، فهناك من لا يقتنع إلا إذا ذكرت له الحكمة من ذلك التشريع .

فالقسوة من المعلم تجاه طلابه توغر الصدر، وتنفر الإنسان عن الإصغاء والفهم، فكم من طالب ترك التعليم بسبب قسوة معلمه وغلظته في المعاملة فلم يستمر في التعليم ، وكم من أناس نفروا من بعض الدعاة بسبب غلظتهم في الموعظة وقسوتهم وشدتهم في التوجيه واتباع سبيل العنف في الحوار والله عز وجل يقول : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) أحمد فى المسند ٣٦ / ٥٤٥ رقم ٢٢٢١١، الطبراني فى المعجم الكبير ٨ / ١٦٢، ١٦٣، رقم ٧٦٧٩، ٧٧٥٩، وفي مسند الشاميين ٢ / ١٣٩، ٣٧٣ رقم ١٠٦٦، ١٥٢٣، والبيهقي فى الشعب ٧ / ٢٩٥ ،رقم ٥٠٣٢، قلت : قال الإمام العراقي رواه احمد بإسناد جيد ورجاله رجال الصحيح، وتخريج أحاديث الإحياء ١ / ٨١٢ وقال الهيثمي فى المجمع رجاله رجال الصحيح ١ / ١٢٩.

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

إن التعامل بالرفق يورث فى النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تفهم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وتحقيقاً للغاية المرجوة منها ، فينبغي على كل معلم وكل مرب وكل داعية أن يقتدي برسول الله ﷺ، ويحاول أن يكون بمنزلة الوالد الرحيم بأبنائه.

وكان من كمال شفقته ﷺ أيضاً أنه لا يصرح باسم المخطئ خاصة إذا كان بحضور جماعة من الناس، فإذا وقع الخطأ من أحدهم فإنه ﷺ يعالج الخطأ بطريقة فريدة لا تؤثر على نفسية المخطئ تأثيراً سلبياً، فلا يُشَهر بصاحب الخطأ ولا يتشفى فيه، بل يهتم بمعالجة الخطأ والتحذير من الوقوع فيه .

عن أَنَس بن مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ»، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ».(١)

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قالت: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَ اللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » (٢).

---

(١) البخاري فى ك/ الآذان ب/ رفع البصر إلى السماء فى الصلاة ١ / ١٤٤، رقم ٧٥٧.

(٢) البخاري فى ك/ الأدب ب/ من لم يواجه الناس بالعتاب/ ٣ / ١٢٤٥ رقم ٦١٦٨، مسلم فى ك/ الفضائل، ب/ علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ٢ / ١٠٠٧ رقم ٦٢٥٥، ٦٢٥٦، ٥٦٥٧ .

قال ابن حجر: قَوْلُهُ: « فَوَ اللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً »: جَمَعَ بَيْنَ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، أَيْ إِنَّهُمْ تَوَهَّمُوا أَنَّ رَغْبَتَهُمْ عَمَّا أَفْعَلُ أَقْرَبُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ أَعْلَمُهُمْ بِالْقُرْبَةِ وَأَوْلَاهُمْ بِالْعَمَلِ بِهَا (١).

وقال أيضاً : إِنَّمَا لَمْ يُمَيِّزِ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُ ذَلِكَ سَتْرًا عَلَيْهِ فَحَصَلَ مِنْهُ الرِّفْقَ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ لَا بِتَرْكِ العتاب أصلًا، وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَذَمِّ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَزُّهِ عَنِ الْمُبَاحِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ وَالْإِنْكَارِ وَالتَّلَطُّفِ فِي ذَلِكَ (٢).

قلت : فالعبرة هو بيان ذلك الفعل المذموم والتحذير منه ، وقد تلطف النبي ﷺ مع من وقع فى الخطأ، ولكنه لم يقره عليه ولم يشهر بصاحبه ، وهذا من عظم خلقه ﷺ، والله أعلم .

فيجب على المعلم والداعية إلى الله تعالى أن تكون طريقته فى معالجة الأخطاء التي تقع من الطلاب أو الجمهور ببيان الخطأ وذمه وبيان سوء عاقبته والتحذير منه، مع عدم الانشغال بالمخطئ ولا التصريح باسمه، لكي لا يستعملها ضعاف النفوس فى إساءته والتشهير به والتحقير من شأنه ، وهذا كله يحتاج إلى مهارة فى علاج الخطأ دون التعرض للأشخاص، فيكون بالتعريض وليس بالتصريح، وبالرحمة واللين وليس بالتوبيخ – والله أعلم –.

---

(١) فتح الباري ١٠ / ٥١٣ .

(٢) المرجع السابق ١٠ / ٥١٤ .

٧ ـ التطبيق العملي :

لا شك أنَّ عرض المادة العلمية عن طريق الإلقاء وسيلة جيدة في التحصيل والتعليم، ولكن لن تصل هذه الوسيلة إلى ذروتها إلا إذا كان معها التطبيق العملي، فهو أدعى إلى ترسيخ المعلومة في ذهن السامع .

وكان النبي ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه العلم ، والعمل، فلم يحملهم على العلم دون العمل؛ لأنَّ العمل أوقع في النفس ، وأرسخ في القلب وأجدى للنفع .

عن حُمْرَانَ – مَوْلَى عُثْمَانَ ﷺ –، أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ، فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاَثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ إِلَى الكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».(١)

قال ابن حجر : فيه دَلَالَةٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّعْلِيمِ بِالْفِعْلِ لِأَنَّهُ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ.(٢) وقال أيضاً : وَفِي الْحَدِيثِ التَّعْلِيمُ بِالْفِعْلِ لِكَوْنِهِ أَبْلَغَ وَأَضْبَطَ لِلْمُتَعَلِّمِ.(٣)

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون آيات معدودات من النبي ﷺ يبينها لهم، فيتفقَّهون معناها ويتعلمون فقهها ، ويطبقونها على

---

(١) البخاري، ك/ الوضوء، الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ١ / ٣٩ رقم ١٥٩، ب/ المضمضة فى الوضوء ١ / ٤٠ رقم ١٦٤، ومسلم فى ك/ الطهارة، ب/ صفة الوضوء وتمامه، ١/ ١١٥ رقم ٥٦١، ٥٦٢.

(٢) فتح الباري ١ / ٣٦٥.

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦١.

أنفسهم، ثم يحفظون غيرها ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً.(١)

وروى الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: « كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ،لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ».(2)

وغير ذلك الكثير من الأمثلة؛ فإن بعضهم من حرصه على التطبيق العملي لكل ما تعلمه كان يقيم عند النبي ﷺ يتعلم أحكام الإسلام وعباداته ثم يعود إلى أهله يعلمهم ويفقهم ، عن مَالِك بن الحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا - أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا - سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: « ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا، - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ ».(٣)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ك/فضائل القرآن ، ب/ في تعليم القرآن كم آية ٦ / ١١٧ رقم ٢٩٩٢٩ ، وأحمد في المسند ٣٨ / ٤٦٦ رقم ٢٣٤٨٢ . قلت : إسناده حسن ، فيه محمد بن فضيل قال ابن حجر : صدوق عارف رمي بالتشيع . تقريب التهذيب ص ٥٠٢ ، وعطاء بن السائب قال ابن حجر : صدوق اختلط . تقريب التهذيب ص ٣٩١ والله أعلم .

(٢) أخرجه الطبري فى تفسيره ١ / ٨٠، وينظر : مقدمة فى أصول التفسير، ص ٤١.

(٣) تقدم تخريجه فى طريقة رقم (٦) .

عن جَابِرٍ بن عبد الله ﷺ ، قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: « لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ ».(1)

فنجد أن النبي ﷺ لم يقتصر على تعليم الصحابة رضي الله عنهم على آيات القرآن فحسب، بل جميع أحكام الإسلام وعباداته وآدابه وأخلاقه، فكان يعيش بينهم ويعلمهم أمور دينهم، ومعلوم أنه إذا رافق العلم العمل والتطبيق كان أجدى فائدة وأقوى رسوخاً ، وأشد ثبوتاً فى النفوس، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يتلقون بين يدي رسول الله ﷺ كل هذا ويطبقونه؛ فما أجمل هذا التعليم وما أطيبه ؟ حيث إنهم تعلموا من المعين الأول العلم والعمل .

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فعلى المعلم والمربي والداعية إلى الله ﷻ أن يعتني بالتطبيق العملي، فإنه اختصار للوقت، والأسلوب العملي عامل قوي في حفظ المعلومة، وصيانتها عن النسيان، فالعلم بغير عمل كشجرة بلا ثمر .

٨ ـ توظيف الوسائل التعليمية المتاحة واستخدامها :

كان من منهجه ﷺ استخدام بعض الوسائل التوضيحية التي تناسب حال المقام، لتساعد على توصيل المعلومة للمخاطب، وإن كانت الوسائل تختلف باختلاف الأزمان ، والأماكن ، والأفهام .

---

(1) مسلم : ك/ الحج، ب/ استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله ﷺ لتأخذوا مناسككم ــ ١ / ٥٣٠ رقم ٣١٩٧.

ومن الوسائل التي استخدمها النبي ﷺ على سبيل المثال لا الحصر: استخدامه ﷺ اليد، أو يستخدم الرسم، أو يمسك بلحيته، أو يشير بلسانه .. إلخ، ولا شك أن ذلك له تأثير فى النفوس في فعل الصحابة ﷺ ، لذلك حفظوا أقواله مقرونه بأفعاله وتناقلها رواة الأحاديث

ومن ذلك :

عَنْ سَهْل بن سعدٍ ﷺ ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا »، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا [(١)].

وعن سهل بن سعد ﷺ أيضاً، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ وَالْوُسْطَى، وَهُوَ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا»، وفى رواية: « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هكَذَا »، وَقَرَنَ شُعْبَةُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، الْمُسَبِّحَةِ وَالْوُسْطَى، يَحْكِيهِ.[(٢)]

وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ »، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: « هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ » [(٣)].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « المُؤْمِنُ

(١) البخاري، ك/ الطلاق، ب/ اللعان ٣ / ١١١١ رقم ٥٣٦١، ومسلم، ك/ الرقائق، ب/ الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم من حديث أبي هريرة ﷺ ٢ / ١٢٥٣ رقم ٧٦٥٩ .

(٢) البخاري ك/التفسير، ب/سورة النازعات ١٠٣١/٢ برقم ٤٩٨٦، وك/الطلاق، ب/اللعان ١١١١/٣ برقم٥٣٥٨، ومسلم، ك/الفتن، ب/قرب الساعة من حديث أنس ﷺ ١٢٤٣/٢ برقم٧٥٩٢.

(٣) البخاري، ك/ العلم، ب/ من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١ / ٢٤ برقم ٨٥.

لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.(١)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: « قَدْ قَضَى »، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: « أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا – وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ».(٢)

ففي الأحاديث السابقة: تنوعت الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في توضيح المراد من كلامه، فاستخدم أصابع اليد في الحديث الأول والثاني والثالث، واستخدم تشبيك اليدين فى الحديث الرابع، واستخدم لسانه فى الحديث الخامس، وكلها تفيد فى الاختصار وزيادة التأكيد على الكلام، أو ترسيخ المفاهيم فى الذهن، أو جذب الانتباه، أو تساعد فى التعبير عن بعض المعاني التي قد يتعذر على اللسان الإتيان بها .

ومن ذلك أيضًا: استخدام الرسم فكان ﷺ يدعم قوله أحياناً بالرسم؛ لتقريب المعنى للأذهان، وذلك يُعين على الحفظ وعدم النسيان .

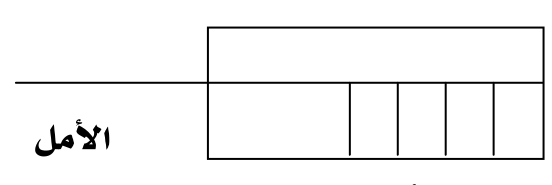
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: « خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي

(١) البخاري، ك/ المظالم والغصب، ب/ نصر المظلوم، ١ / ٤٥٩ برقم ٢٤٨٦، وك/ الأدب ب/ تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ٣ / ١٢٣٢ برقم ٦٠٩٥ .

(٢) البخاري، ك/ الجنائز، ب/ البكاء عند المريض، ١ / ٢٤٥ برقم ١٣١٦، ومسلم، ك/ الجنائز، ب/ البكاء على الميت ١ / ٣٦٢ برقم ٢١٧٦ .

فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ – أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ – وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ».(١)

قال النووي (٢): و صورته:



قلت : من هذا التصوير البديع حضَّ النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على قصر الأمل في الدنيا ، والاستعداد للأجل الذي يأتي بغتة قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأعراف:١٨٧] .

وقد يستخدم ﷺ الآيات الكونية الظاهرة كوسيلة تعليمية:

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً – يَعْنِي البَدْرَ – فَقَالَ: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا »، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

(١) البخاري، ك/ الرقائق، ب/ فى الأمل وطوله، ٣ / ١٣٠٣ برقم ٦٤٩٣.

(٢) رياض الصالحين، ب/ ذكر الموت وقصر الأمل، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ [ق : ٣٩] (١) .

وهذه الوسائل التعليمية على سبيل المثال لا الحصر، وذكرتها لتقرير المبدأ والفكرة في الأذهان؛ حيث إن الرسول ﷺ مُشَرِّعٌ، فلم يترك النبي ﷺ أي وسيلة هي سبيل لتوصيل المعلومة إلى ذهن السامع إلا واستخدمها؛ لتعم الفائدة على الجالسين، وهذا من حرصه ﷺ على تعليم أصحابه رضي الله عنهم.

وتواجد العالم بين تلامذته، والداعية بين جمهوره له أثر في النفس؛ لأنه بذلك يحاكي أستاذه في إشاراته وتلميحاته ، وحركاته وسكناته ، وإيماءاته وأفعاله، وأخلاقه وعاداته، وذلك كله كان متمثلاً في شخصه ﷺ، فهو ﷺ قدوتنا ومثلنا الأعلى، فاللهم صل وسلم وبارك على معلم الناس الخير ﷺ – والله أعلم –.

٩ ـ الأخذ بالتيسير، والنهي عن التشديد والتعقيد :

سعى النبي ﷺ بنشر الإسلام وتبليغه سعياً حثيثاً، وسلك فى ذلك أسهل السبل وأيسرها، واجتهد فى تعليم المسلمين أحكام دينهم بأيسر الطرق وأقربها إلى النفوس، فكان يتخير التيسير فى جميع أموره، وينهى عن التشديد والتعقيد، يريد من المسلمين أن يأتوا الرخص كما يأتون
العزائم ، وكثيراً ما كان ينهي عن التنطع فى العبادة والتضييق في الأحكام، فإنه ﷺ ناطق بلسان الشريعة السمحة الميسرة .

ويتجلى هذا الجانب من منهجه ﷺ في تتبع سيرته ﷺ، ويظهر لنا

(١) البخاري، ك/ مواقيت الصلاة، ب/ فضل صلاة العصر، ١ / ١١٠ برقم ٥٥٣، وب/ فضل صلاة الفجر، ١ / ١١٤ برقم ٥٧٢، ومسلم، كتب/ المساجد ومواضع الصلاة، ب/ فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١ / ٢٥٠ برقم ١٤٦٦ .

مع هذا حلمه تارة ، وحبه لأمته تارة أخرى ، وغضبه للحق حيناً، ونهيه عن التعقيد أحياناً [(١)].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ ».[(٢)]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [(٣)].

وفى رواية عند أبي داود، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةِ ﷺ ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَصَلَّى، قَالَ ابْنُ عَبْدَة – أحد رجال الإسناد -: رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا ». ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ».[(٤)]

فقد تلطف ﷺ مع الأعرابي لعدم علمه فوجهه بأسلوب سمح وسهل حتى لا ينفر أو يصيبه أذى.

---

(١) أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٤٢.

(٢) البخاري ك/ الحدود، ب/ إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ٣ / ١٣٦٩ برقم ٦٨٧٣، ومسلم ك/ الفضائل ب/مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ٢ / ٩٩٩ برقم ٦١٩٠.

(٣) البخاري ، ك / الوضوء ، ب / صب الماء على البول فى المسجد ١ / ٥٠ برقم = ٢٢٠، ٢٢١، وك/ الأدب، ب/ قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا ٣ / ١٢٤٩، برقم ٦١٩٦، واللفظ فى الأدب .

(٤) أبو داود فى سننه، ك/ الطهارة، ب/ الأرض يصيبها البول، ١ / ٦٧، برقم ٣٨٠ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا» [١].

والشريعة الإسلامية كلها ناطقة بلسان السماحة واليسر ، ونبذ التشديد والتعنت والتضييق على الناس ، وهذا مجال عام في حياته ﷺ وليس في مجال دون مجال .

١٠ ـ أسلوب المحاورة والمناقشة :

كان النبي ﷺ مع أصحابه ﷺ يستخدم أسلوب الحوار والمناقشة فى أغلب الأحوال، وهذا الأسلوب له أكثر من صورة، نذكر منها ما يلي :

أولاً : أسلوب الاستفهام، أو طرح السؤال، واستخراج الإجابة من المستمعين: وهذه الصورة فيها نوع من التشويق ، وإثارة الانتباه وإعمال العقل فى الوصول إلى الجواب الصحيح، والسؤال هو من أقوى أدوات التواصل بين المُعَلِّم والمُتَعَلِّم، ولا يتصور تعليم فاعل لا يتخلله السؤال الفاعل المثير للعقول والمبدد للخمول .

قال ابن شهاب : « الْعِلْمُ خَزَائِنُ وَتَفْتَحُهَا الْمَسْأَلَةُ ».[٢]

وقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: « بِلِسَانٍ سَؤُولٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ ».[٣]

---

(١) البخاري، ك/ العلم ب/ ما كان النبي ﷺ يتخولهن بالموعظة والحكمة كي لا ينفروا ١ / ٢١ برقم ٦٨، وك/ الأدب، ب/ يسروا ولا تعسروا ٣ / ١٢٤٩ برقم ٦١٩٣، وفيه " سكنوا " بدل " بشروا " ومسلم ك/ الجهاد والسير، ب/ فى الأمر بالتيسير وترك التنفير، ٢ / ٧٥٤ برقم ٤٦٢٦، وفيه سكنوا " بدل " بشروا " .

(٢) سنن الدارمي ١ / ١٩٨ .

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ٤ / ١٨٦.

والمتتبع لسيرته ﷺ يجده فتح باب السؤال لكل الناس، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، وما ضاق بها ذرعاً أو أبدى انزعاجاً . والأمثلة كثيرة جداً ونذكر منها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ »، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ».(١)

وعن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ » – ثَلاَثًا –، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فقَالَ: – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ »، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.(٢)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ »، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « هِيَ النَّخْلَةُ » (٣).

---

(١) مسلم في ك/ الطهارة، ب/ فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ١ / ١٢٣ ــ ١٢٤ برقم ٦١٠ ــ ٦١١ .

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري ك/العلم، ب/قول المحدث حدثنا وأخبرنا ١/١٨برقم٦١، وب/طرح المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ١/١٩برقم ٦٣، ومسلم ك/صفة القيامة، ب/مثل المؤمن كالنخلة ٢/١١٨٦ برقم٧٢٧٦.

قال ابن حجر : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِد، منها: امْتِحَانُ الْعَالِمِ أَذْهَانَ الطَّلَبَةِ بِمَا يَخْفَى مَعَ بَيَانِهِ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَفْهَمُوهُ، وَفِيهِ: التَّحْرِيضُ عَلَى الْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ، وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ البخاري: بَابُ/ الْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ. [1]

وترجمه البخاري، بقوله: بَابُ/ طَرْحِ الإِمَامِ المَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ.[2]

فهدف النبي ﷺ من طرح الأسئلة هو اكتشاف المواهب والتعرف على قدرات الصحابة ﷺ.

ففي الأمثلة السابقة كان النبي ﷺ يطرح السؤال على العامة، ولم يُعَيِّن أحداً، بل كانت عباراته بصيغة الجمع غالباً، ويترك فرصة لكل واحد يجيب على السؤال، فإن أعيتهم الإجابة أجاب ﷺ عليهم.

وقد يحدد شخصاً بعينه للسؤال : فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: « يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ! »، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: « يَا مُعَاذُ ! »، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: « يَا مُعَاذُ ! »، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ »، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ! »، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ »، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

---

(١) فتح الباري ١ / ١٤٦ .

(٢) صحيح البخاري ١ / ١٩ .

قَالَ: « حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ ».(١)

فأسلوب الاستفهام أسلوب فعال فى جذب انتباه السامع وانصاته لما سيلقى عليه، وفي الحديث السابق قد عين النبي ﷺ شخصاً للسؤال وهو سيدنا معاذ رضي الله عنه .

وقد يكون السؤال من المستمع ، والنبي ﷺ يجيب على سؤال السائل، وقد يجد بعض الجفاء والغلظة من السائل، فيصبر عليه ويرد عليه بأحسن الألفاظ، والسنة النبوية زاخرة بذلك، منها:

عن أَنَس رضي الله عنه ، يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ – وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ –، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ... الحديث».(٢)

فى هذا الحديث يظهر جفاء ضمام بن ثعلبة فى الحوار مع رسول الله ﷺ، وصبر النبي ﷺ عليه، وعامله برفق ولين وأجابه على أسئلته، وتغاضى النبي ﷺ عن أسلوبه؛ لأن هذا سمت الأعراب وطبيعتهم.

---

(١) البخاري، ك/ اللباس، ب/ إرداف الرجل خلف الرجل، ١٢٢٢/٣ برقم ٦٠٣٣ وك/الاستئذان، ب/من أجاب بلبيك وسعديك ١٢٧٦/٣ برقم٦٣٤٠، وك/الرقاق، ب/ من جاهد نفسه في طاعة الله ١٣١٨/٣ برقم ٦٥٧٩، ومسلم ك/الإيمان، ب/ من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة ٣٥/١ برقم١٥٢.

(٢) البخاري، ك/ العلم، ب/ ما جاء فى العلم فى قوله تعالى : " وقل ربي زدني علما "، ١ / ١٩ برقم ٦٣.

قال ابن حجر : وَالْعُذْرُ عَنْهُ إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ قَدِمَ مُسْلِمًا، أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ النَّهْيُ، وَكَانَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ جَفَاءِ الْأَعْرَابِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ.(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (٢).

قال ابن حجر : مُحَصِّلُهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَدَبِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، أَمَّا الْعَالِمُ: فَلِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ تَرْكِ زَجْرِ السَّائِلِ، بل أَدَّبه بالإعراض عَنهُ أَولًا حَتَّى اسْتَوْفَى مَا كَانَ فِيهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى جَوَابِهِ فَرَفَقَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الْأَعْرَابِ، وهم جُفَاة، وَفِيه: الْعِنَايَة بِجوَاب سُؤَالِ السَّائِلِ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ السُّؤَالُ مُتَعَيِّنًا وَلَا الْجَوَابُ، وَأَمَّا الْمُتَعَلِّمُ: فَلِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ أَدَبِ السَّائِلِ أَنْ لَا يَسْأَلَ الْعَالِمَ وَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ حَقَّ الْأَوَّلِ مُقَدَّمٌ.(٣)

قلت : لم يوبخه النبي ﷺ على مقاطعته له الحديث، بل استمر في حديثه ثم سأل عن السائل فأجابه، وهذا فيه من الرفق بالسائل وإن كان

(١) فتح الباري ١ / ١٥١ .

(٢) البخاري، ك/العلم، ب/من سئل عن علم وهو منشغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ١/ ١٨ رقم٥٩.

(٣) فتح الباري ١ / ١٤٢ .

جافياً فى سؤاله أو جاهلًا، فإنه يُعذر بجهله، ويعفى عنه في جفائه.

وأحياناً يكون السؤال من المستمع – وهو الأصل –، والنبي ﷺ يجيب السائل، وقد يكون فيه مراجعة للسائل، وفى كل ذلك كان النبي ﷺ يصحح المفاهيم:

فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (١) .

وعَنْ أَنَسِ بن مالك ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: « وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا »، قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ».(٢)

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ».(٣)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّ الذَّنْبِ

---

(١) البخاري، ك/ الجهاد والسير، ب/ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢ / ٥٤٧، برقم ٢٨٤٧، وك/ فرض الخمس، ب/ من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ٢ / ٦٠٧ برقم ٣١٦٣ ــ ومسلم ك/ الإمارة، ب/ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢ / ٨٣٤ برقم ٥٠٢٨.

(٢) البخاري، ك/ فضائل أصحاب النبي ﷺ ب/ مناقب عمر ٢ / ٧٢٦ برقم ٣٧٣٢.

(٣) البخاري، ك/ الأدب، ب/ علامة حب الله عز وجل، ٣ / ١٢٥٨ برقم ٦٢٤١، ومسلم ك/ البر والصلة، ب/ المرء مع من أحب ٢ / ١١١٦، برقم ٦٨٨٣.

أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ » . قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ » (١) .

وقد يطلب من السائل إعادة السؤال إن كان مما تعم به الفائدة أو فيه إجابة أوسع من السابقة:

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ » ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَيْفَ قُلْتَ؟ » قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ ».(٢)

وفي هذا أن العالم إذا سئل عن شيء لا يعلم جوابه أن يمهل السائل حتى يتقين الإجابة أو يسأل غيره ممن هو فوقه من العلماء، كما فعل النبي ﷺ حين طلب من السائل إعادة السؤال، فزاده في الإجابة حين نزل عليه جبريل عليه السلام، وقال له: " إلا الدين "، وقد صرح النَّبي ﷺ بمن علمه الإجابة، والله أعلم .

---

(١) البخاري، ك/ البر والصلة، ب/ قوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢ / ٨٩٥ برقم ٤٥١٧، ومسلم ك/ الإيمان، ب/ كون الشرك أقبح الذنوب، ١ / ٥٢ برقم ٢٦٧ و ٢٦٨.

(٢) مسلم ك/ الإمارة، ب/ من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين ٢ / ٨٢٨ برقم ٤٩٨٨، ٤٩٨٩.

ثانياً : ضرب الأمثلة والتشبيهات :

وذلك لتقريب المعنى المراد، وإيصال الفهم الصحيح للمستمع؛ كي يعقل ويفهم جيداً، وَضَرْبُ المثل محببٌ إلى النَّفس، فالأمر المعنوي حين يقدم فى صورة حسية نجد أن النفس تأنس له.

وقد استخدم النبيُّ ﷺ ضرب الأمثال في مواطن كثيرة، وقد جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم من هذا القبيل، قال تعالى : ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقال تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت : ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

والسنة النبوية زاخرة بالأمثلة التي لا حصر لها، ومن ذلك: عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.(١)

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » (٢) .

---

(١) تقدم تخريجه فى توظيف المسائل .

(٢) البخاري ك/ الذبائح والصيد، ب/ المسك، ٣ / ١١٥٣ برقم ٥٥٩٢ ــ ومسلم، ك/ البر والصلة، ب/ استحباب مجالسة الصالحين، ٢ / ١١١٢ ــ ١١١٣، برقم ٦٨٥٩، ٦٨٦٠.

قال النووي : فِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ.[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ »، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: « فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا ».[2]

فالمعلم الناجح والداعية الماهر هو الذي يستعمل هذا الأسلوب عند استشهاده بالأمثلة على قضاياه؛ لأنه يُثَبِّتُ المعلومة فى نفوس المخاطبين، ويوضح الفكرة الصعبة، ويُقَرِّبُ المسألة المُعَقَّدة أو المعضلة إلى الأذهان، ويتوقف مدى الفائدة من ضرب المثل على براعة المعلم فى تصوير المثل لكي يطابق الفكرة التي يريد إيضاحها، والله أعلم.

ثالثاً : الأسلوب القصصي :

القصة بطبعها محببة للقلب لما فيها من ذكر الأخبار الماضين، وَتَعْلَقُ بالذهن ولا تكاد تنسى، وقد اعتنى القرآن الكريم بذكر القصص لما فيها من تقوية العزيمة، وتسلية النفس، وأخذ العبرة والعظة ومعرفة أخبار الأمم السابقة وحفظ الأحداث الماضية.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

(١) شرح النووي على مسلم ١٦ / ١٧٨.

(٢) البخاري، ك/ مواقيت الصلاة، ب/ الصلوات الخمس كفارة، ١ / ١٠٧ برقم ٥٢٧، ومسلم ك/ المساجد، ب/ المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، ١ / ٢٦٥ برقم ١٥٥٤.

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦].

فالقصص فى القرآن الكريم جاءت لغايات وأهداف، وليست للتسلية وتضييع الوقت، وإنما جاءت لتقرير مسائل التوحيد والعقائد، وبيان حكم الله تعالى الباهرة وسنته فى عباده الماضيين التي لا تتبدل ولا تتغير.

فالقصة لها دور كبير فى تعليم الناس وتربيتهم والتأثير فيهم؛ لذا كان ﷺ يقص على أصحابه أحياناً القصص ليثبت العقيدة في قلوبهم، وليعلمهم الأخلاق الفاضلة ويربيهم على القيم والمبادئ القويمة .

والنماذج في السنة النبوية كثيرة، ومنها على سبيل الاختصار :

قصة الثلاثة الذين لجئوا إلى الغار، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار [١] .

وقصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر [٢] .

وقصة الثلاثة: الأعمى، والأبرص، والأقرع [٣] .

وغيرها الكثير ، فعلى المعلم أن لا يكون همه سرد القصص فقط، بل يبين مواضع العبرة والعظة والفوائد المستنبطة منها، وكذلك الأحكام الواردة فيها إن اشتملت على أحكام .

فإن القصة تُهَذِّبُ الوجدان، وتُسْهِمُ فى تقوية الحفظ وإرهاف

---

(١) البخاري، ك/ الإجارة ، ب/ من استأجر أجيراً وترك الأجير اجره فعمل فيه المستأجر ٤٢٠/١ برقم ٢٣٦١، من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، وك/ أحاديث الأنبياء، ب/ الغار، ٢ / ٦٨٥، برقم ٣٥٠٣.

(٢) البخاري، ك/أحاديث الأنبياء، ب/حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ٦٦٨/٢ برقم ٣٤٣٦، عن ابن عباس، ومسلم ك/ الفضائل، ب/ من فضائل الخضر عليه السلام، ٢ / ١٠١٧ برقم ٦٣٣١.

(٣) البخاري، ك/ أحاديث الأنبياء، ب/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ٢ / ٦٨٤ برقم ٣٥٠٢، ومسلم ك/ الزهد والرقائق ٢ / ١٢٤٧ برقم ٧٦٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الحس وشحن الذاكرة وشد الانتباه .

إضافة لذلك فهي تكسب السامع كثيراً من القيم والأخلاق الحسنة، وتنمي فيه المسئولية، والاتجاهات الإيجابية، خاصة إذا كانت واقعية وتعالج قضايا هامة، والله أعلم .

١١ـ التحفيز والتشجيع بما يناسب حال كل واحد :

إن التحفيز له أثر عجيب في النفوس يجدد النشاط ويبعد الكسل؛ لذا كان النبي ﷺ يستخدم هذا الأسلوب مع الصحابة ﷺ، فإنه يكشف عن مواهبهم واستعداداتهم، وكان ﷺ يعزز كل صحابي بصفة تختلف عن الآخر تبعاً للصفة الغالبة فيه، ومن ذلك :

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ ».(١)

قال ابن حجر : وَالْأَمِينُ هُوَ الثِّقَةُ الرَّضِيُّ وَهَذِهِ الصِّفَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُشْتَرَكَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ لَكِنَّ السِّيَاقَ يُشْعِرُ بِأَنَّ لَهُ مَزِيدًا فِي ذَلِكَ لَكِنْ خَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْكِبَارِ بِفَضِيلَةٍ وَوَصَفَهُ بِهَا فَأَشْعَرَ بِقَدْرٍ زَائِدٍ فِيهَا عَلَى غَيْرِهِ كَالْحَيَاءِ لِعُثْمَانَ وَالْقَضَاءِ لِعَلِيٍّ وَنَحْوِ ذَلِكَ.(٢)

ومن صور التشجيع التي استعملها النَّبيُّ ﷺ الثناء:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ».(٣)

---

(١) البخاري ك/ فضائل النبي ﷺ ب/ مناقب أبي عبيدة بن الجراح، ٢ / ٧٣٩ برقم ٣٧٨٩، ومسلم، ك/ فضائل الصحابة، ب/ فضائل أبي عبيدة بن الجراح، ٢ / ١٠٣٧ برقم ٦٤٠٥.

(٢) فتح الباري ٧ / ٩٣ .

(٣) البخاري ك/ فضائل القرآن، ب/ حسن الصوت بالقراءة، ٣ / ١٠٥٩، برقم ٥١٠٢، ومسلم واللفظ له، ك/ صلاة المسافرين وقصرها، ب/ استحب/ تحسين الصوت بالقرآن، ١ / ٣١٤ برقم ١٨٨٨.

وهذا الثناء من النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ؓ ، له أثر بالغ فى النفس يورث الارتياح والنشاط والإقبال على الأمر بحب وشوق .

ومن صور التشجيع التي استعملها النَّبيُّ ﷺ المدح:

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ؓ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ » قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ » قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: « وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ ».(١)

قال القاضي عياض: فيه تنشيط المُعَلِّمُ لمن يُعَلِّمْهُ إذا رآه أصاب، وتنويهه به، وسروره بما أدركه من ذلك، وفى الخبر: إلقاء المعلم على أصحابه المسائل لاختبار معرفتهم، أو ليعلمهم ما لعلهم لم ينتبهوا للسؤال عنه.(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: « لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ».(٣)

---

(١) مسلم ك/ صلاة المسافرين وقصرها، ب/ فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ١ / ٣١٨ برقم ١٩٢١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣ / ١٧٨.

(٣) البخاري، ك/ العلم، ب/ الحرص على الحديث، ١ / ٢٧ برقم ٩٩، وك/ الرقاق، ب/ صفة الجنة والنار، ٣ / ١٣٢٩ برقم ٦٦٥٠.

والحديث فيه: ثناؤه ﷺ ومدحه لأبي هريرة ﷺ، وإشادته ﷺ بفطنته وذكائه، وحرصه على العلم.

ومن صور التشجيع التي استعملها النَّبيُّ ﷺ الدعاء بالبركة والخير والتوفيق ونحو ذلك:

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: « مَنْ وَضَعَ هَذَا، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » [١] .

قال ابن حجر : قَالَ التَّيْمِيُّ: فِيهِ اسْتِحْبَاب الْمُكَافَأَة بِالدُّعَاءِ.

وقال ابن المنير : مُنَاسَبَةُ الدُّعَاءِ لِابْنِ عَبَّاسٍ بِالتَّفَقُّهِ عَلَى وَضْعِهِ الْمَاءَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ؛ إِمَّا أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ بِالْمَاءِ إِلَى الْخَلَاءِ، أَوْ يَضَعَهُ عَلَى الْبَابِ لِيَتَنَاوَلَهُ مِنْ قُرْبٍ، أَوْ لَا يَفْعَلَ شَيْئًا، فَرَأَى الثَّانِيَ أَوْفَقَ؛ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ تَعَرُّضًا لِلِاطِّلَاعِ، وَالثَّالِثُ يَسْتَدْعِي مَشَقَّةً فِي طَلَبِ الْمَاءِ، وَالثَّانِي أَسْهَلُهَا، فَفِعْلُهُ يَدُلُّ عَلَى ذَكَائِهِ، فَنَاسَبَ أَن يَدعِي لَهُ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ لِيَحْصُلَ بِهِ النَّفْعُ [٢] .

ففي التشجيع والتعزيز باعث على النشاط والاستزادة من العلم والسعي إلى التنافس والتفوق على الأقران.

وقد يكون التشجيع مادياً ومعنوياً فيكون بالمدح والثناء تارة

---

(١) البخاري، ك/ الوضوء، ب/ وضع الماء عند الخلاء، ١ / ٣٧ برقم ١٤٣، ومسلم ك/ فضائل الصحابة، ب/ فضائل عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ ٢ / ١٠٥٩ برقم ٦٥٢٣.

(٢) فتح الباري ١ / ٢٤٤ .

ويكون بالدعاء تارة أخرى ، وهذا يحفز ويشجع على العلم بشغف وحب وشوق، وترك الفتور والكسل، وقد تجري المسابقات أيضاً للتنافس والتسارع فى الطاعات، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ » ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ڤ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».[(١)]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ : «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».[(٢)]

وهذا فيه: تشجيع للصحابة ﷺ على التنافس والتسابق فى طلب العلم وحفظ القرآن وتحفيظه، والإكثار من عمل الصالحات، والجمع بين العلم والعمل، وتحصيل الأجر العظيم والخيرية في الدنيا والآخرة، والفوز بالجنة، كل ذلك من باب المكافأة على العمل ، وفى ذلك كله إظهار

(١) مسلم، ك/ الزكاة، ب/ من جمع الصدقة وأعمال البر، ١ / ٤٠٤ برقم ٢٤٢١.

(٢) مسلم، ك/ صلاة المسافرين وقصرها، ب/ فضل قراءة القرآن فى الصلاة ١ / ٣١٧ برقم ١٩٠٩ .

للمعاني الإسلامية في صورة عملية تطبيقية .

إن التحفيز له دور كبير في العملية التعليمية فلا يغفل عنه المعلم والداعية إلى الله، كل في مجاله فإنه يبعث على التنافس العلمي والعملي الجاد، وزيادة الثقة في النفس، وزيادة الإيمان، والله أعلم.

١٢ – استغلال الأحداث والمواقف:

كان من هديه ﷺ أنه يستغل الأحداث ليربي أصحابه ﷺ، فالتعليم المرتبط بالحدث أقوى رسوخاً في الذهن ، وكان من حِكم نزول القرآن الكريم مُنَجَّمًا أن يرتبط بواقع الصحابة ﷺ؛ يعالج قضاياهم، ويواكب حياتهم، وكان ﷺ حريصاً على انتهاز الفرص لتعليم الصحابة ﷺ إذا عرض لهم شيء، أو حدث موقفٌ ما لأحدهم .

ومن ذلك : عن عُمَر بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما، قال: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ »، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ [(١)] . ففي هذا الحديث لم يترك النبي ﷺ الموقف يمر بدون توجيه وتعليم ، فَتَحَيَّنَ الفرصة ليغرس سلوكاً صحيحًا، ويطمس سلوكًا خاطئًا ، وهذا كان له أكبر الأثر في توجيه هذا الغلام، وفي تربيته بحكمة بالغة، فقد أخبر عُمَر بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما عن نفسه، فقال: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ؛ والنَّبيُّ ﷺ في كل ذلك يترفق ويتلطف في التوجيه والتقويم، صلوات ربي وسلامه على

(١) البخاري، ك/ الأطعمة، ب/ التسمية على الطعام والأكل باليمين ٣ / ١١٢٦ برقم ٣٤٥٠ وب/الأكل مما يليه، ٣ / ١١٢٦ برقم ٥٤٣١ ومسلم فى الأشربة، ب/ آداب الطعام والشراب، ٢ / ٨٨٣ برقم ٥٣٨٨.

مُعَلِّم النَّاس الخير.

وعَنْ عُمَر بْنِ الخَطَّابِ ﷺ، قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: « أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ».(١)

بيَّن ﷺ سعة رحمة الله تعالى بعباده ورأفته بخلقه من خلال موقف تلك المرأة وخوفها على ولدها؛ فعلى المُعَلِّم أن يهتم بهذا الجانب الحياتي الواقعي، ولا يتركه يذهب سدى بغير توجيه، وإنَّما يستغله لتربية النفوس وتهذيبها.

ومزيَّة الأحداث على غيرها من مناهج التعليم، أنها تُحْدِثُ فى النفس حالة هي أقرب للانصهار، فإن الحادثة تثير النفس بكاملها، وما تمر به الأمة من حوادث وفتن لهو فرصة لصياغة الشخصية الإسلامية صياغة جيدة وثابتة؛ فإن المواقف والأحداث التي تمر بالناس لا تنسى، فهي فرصة للداعية عليه أن يستغلها، فهي سبيل الاستفادة من تجارب الآخرين، وتنمي روح التسامح والمحبة فى نفس المتعلم من خلال أخذ الدروس والعبر من أحداث وقعت فى الماضي، وهذا مما يُقوي العقيدة ويزيد الإيمان فى النفوس ويدعوا إلى القيم، ليعدل مساره العقدي والفكري والواقعي؛ لأن المواقف والأحداث تستثير مشاعر حياته فى النفس، فإذا استثمر هذا الموقف فى التوجيه والتعليم وقع التعليم

(١) البخاري، ك/ الأدب، ب/ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٣ / ١٢٢٨ برقم ٦٠٦٥، ومسلم، ك/ التوبة، ب/ سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ٢ / ١١٥٩ برقم ٧١٥٤.

والتوجيه موقعه المناسب، ويظل الموقف أو الحدث وما صاحبه من تعليم وتوجيه صورة منقوشة تستعصي على النسيان.

وقد ربىّ النبي ﷺ جيلاً فريداً في خضم الحوادث والمحن التي مرَّت به ﷺ قبل الهجرة في مكة، وكذا بعد الهجرة في الحوادث التي زاغت بها الأبصار، فكان ﷺ يُعَلِّم ويُوَجِّه ويُقَوِّم الشخصية المسلمة على الإيمان الصحيح والعقيدة الثابتة، إلى أن أصبحوا قادة على العالم، وسادوا الدنيا بالدين، والاستفادة من الأحداث والمواقف لا تعني التعنت والتكلف، بل هي أرض خصبة للتعليم والتوجيه، وأخذ العظة والعبرة، خاصة وأنَّها منهج نبوي قويم حكيم – والله أعلم –.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من خُتِمَت به الرسالات، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فمن خلال هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية :

١- أهمية العلم، ومنزلة أهل العلم ومكانتهم في الدنيا والآخرة .

٢- أن النبي ﷺ كان معلماً وهادياً ومبلغاً عن ربه سبحانه وتعالى رسالته إلى خلقه.

٣- حث النبي ﷺ على طلب العلم وتبليغه ونشره، وأوصى بطالب العلم خيراً لما له من منزلة وفضل عند الله ﷻ بما يُحَصِّلُه من علم وفقه .

٤- كان للنبي ﷺ منهجية حكيمة في التعليم، وسلك أكثر من أسلوب تربوي في تعليم صحابته ﷺ، وهذه المنهجية وهذا الأسلوب لا يختلف عن المناهج التربوية في عصرنا الحاضر.

٥- كان من هديه ﷺ في التعليم: اختيار الوقت المناسب للتعليم ومراعاة المناسبات.

٦- كان من هديه ﷺ في التعليم: مراعاة الفروق الفردية بين الصحابة ﷺ، فكان ينزل إلى مستواهم، ويُراعي ثقافتهم ومستواهم العلمي .

٧- كان من هديه ﷺ في التعليم: التحفيز والتشجيع وهو ما يسمى الآن بـــ " التعزيز " .

٨- كان من هديه ﷺ في التعليم: الرفق واللين والشفقة بمن يُعَلِّمُهُم، ويصبر على جفاء بعضهم، وكان يَتَحَمَّل منهم بعض الأخطاء، ويوجه المُخْطِئ ويصحح له خطأه بدون إساءة له .

٩- كان من هديه ﷺ في التعليم : أن يُحَاورهم ويُنَاقِشَهم، وهذا الحوار له

أكثر من صورة وذلك لأخذ العظة والعبرة واستثارة الهمة في جذب الإجابة.

١٠- كان من هديه ﷺ أنَّه ينتهز الفرصة لاستغلال المواقف والأحداث، لما لها من أثر في النفس لا ينسى ، وليس المقصود منها إهانة الشخص أو التقليل من شأنه فالمقام مقام تعليم وتوجيه .

وبعد

فقد انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر لي جمعه وترتيبه، فاللهم إني أسألك ألا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر في علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى طاعتك ، ولا يداً تكتب حديث رسولك ﷺ ، اللهم آمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وخَطَّه بيمنه

محمود عبد الله عبد الرحمن عبد الحليم

خويدم سنة سيد المرسلين ﷺ

غفر الله له ولوالديه ومشايخه

أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

بكلية أصول الدين بطنطا – جامعة الأزهر

فهرس المراجع

- **القرآن الكريم :**
- الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين، ابن مفلح المقدسي، ط/ عالم الكتب .
- أصول الحديث علومه ومصطلحاته، للدكتور/ محمد عجاج الخطيب، ط/ دار الفكر . بيروت . ١٤٢١ هـــ ـــ ٢٠٠١م .
- التعليق الممجد على موطأ محمد، لمحمد عبد الحي محمد اللكنوي الهندي، ط/ دار القلم، دمشق، الرابعة ـــ ١٤٢٦ هـــ ـــ ٢٠٠٥م . تحقيق / تقى الدين الندوي .
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط/ دار الرشيد . سوريا . تحقيق / محمد عوامة . الأولى ١٠٤٦ هـــ ـــ ١٩٨٦م .
- التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني . ط/ مكتبة دار السلام . الرياض. تحقيق . د/ محمد إسحاق محمد إبراهيم. الأولى ـــ ١٤٣٢هـــ / ٢٠١١م .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني . ط مطبعة دائرة المعارف النظامية . الهند . الأولى ـــ ١٣٢٦ هـــ .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي . ط/ مكتبة المعارف الرياض ـــ تحقيق د / محمود الطحان .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني . ط/ دار السعادة ١٣٩٤ هـــ ـــ ١٩٧٤م . ثم صورتها دار الكتاب العربي . بيروت ـــ ودار الفكر للطباعة والنشر بيروت .
- رياض الصالحين، للإمام النووي، ط/ دار التراث العربي.القاهرة .
- الزهد، لابن المبارك، ط/ دار الكتب العلمية . بيروت ، تحقيق /

حبيب الرحمن الأعظمي.

- السنة قبل التدوين، للدكتور / محمد عجاج الخطيب، ط/ دار الفكر . بيروت السادسة . ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧م .
- سنن ابن ماجة، ط/ جمعية المكنز الإسلامي . الأولى ١٤٢١ هـ .
- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي، ط/ دار البشائر . بيروت ــ تحقيق / نبيل هاشم الغمري . الأولى ١٤٣٤ هـ ــ ٢٠١٣م .
- سنن الدرامي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي، ط/ دار المغنى للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ، تحقيق / حسين سليم أسد الدراني . الأولى ١٤١٢ هـ ــ ٢٠٠٠م .
- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر البيهقي، ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . تحقيق / محمد عبد القادر عطا . ط الثالثة ــ ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣م.
- شرح النووي على صحيح مسلم، ط/ دار إحياء التراث العربي . بيروت ــ الثانية ١٣٩٣هـ .
- شعب الإيمان، للإمام أبي بكر البيهقي، ط/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع .الرياض ، تحقيق/ الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. الأولى ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٣م .
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط/ جمعية المكنز الإسلامي الأولى ١٤٢١ هـ .
- صحيح مسلم بن الحجاج، ط: جمعية المكنز الإسلامي الأولى ١٤٢١هـ.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام محمود بن أحمد بن

موسى بدر الدين العيني، ط/ دار إحياء التراث العربي . بيروت .

- فتح الباري شرح صحيح الإمام، البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط/ دار المعرفة . بيروت . ١٣٧٩ هـ . إشراف محب الدين الخطيب .
- الفروق الفردية فى ضوء التربية النبوية، د/ نعيم بن أسعد الصفدي، و د/عبد اللطيف مصطفى الأسطل . بحث فى مجلة جامعة الأزهر بغزة . المجلد ١٢ العدد (١) لعام ٢٠١٠م .
- الكفاية فى علم الرواية، للخطيب البغدادي، ط/ المكتبة العلمية المدينة المنورة . تحقيق / أبو عبد الله السورفي ، وإبراهيم حمدي المدني .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين الهيثمي، ط/ مكتبة القدس . القاهرة . تحقيق / حسام الدين القدس . ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.
- المجموع شرح المهذب، للإمام النووي، ط/ دار الفكر . بيروت .
- مسند أبي داود الطيالسي، ط/ دار هجر مصر ، تحقيق / الدكتور محمد عبد المحسن التركي . الأولى . ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م .
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ط مؤسسة الرسالة . الأولى ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠١م . تحقيق / شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرين .
- مسند الشاميين، للإمام الطبراني، ط/ مؤسسة الرسالة . بيروت . تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي . الأولى . ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤م .
- مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجة، لأبي العباس شهاب الدين

البوصيري، ط/ العربية . بيروت . تحقيق / محمد المنتقى الكشناوي ، الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

- المعجم الكبير، للطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، تحقيق/ حمدي السلفي، الثانية.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- مقدمة ابن خلدون .
- مقدمة فى أصول التفسير ، للإمام تقى الدين بن تيمية، ط/ دار مكتبة الحياة . بيروت . ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٠م .
- منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية، د/ منال موسى على ديباش – رسالة التخصص الماجستير في أصول التربية ـ جامعة غزة . كلية التربية . عام ٢٠٠٨م . ١٤٢٩ هـ .
- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري . ط المكتبة العلمية . بيروت . تحقيق / طاهر أحمد ، ومحمود محمد الطناحي . ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

فهرس الموضوعات